الأئمة للحياة

الإمام المهدي (عج)

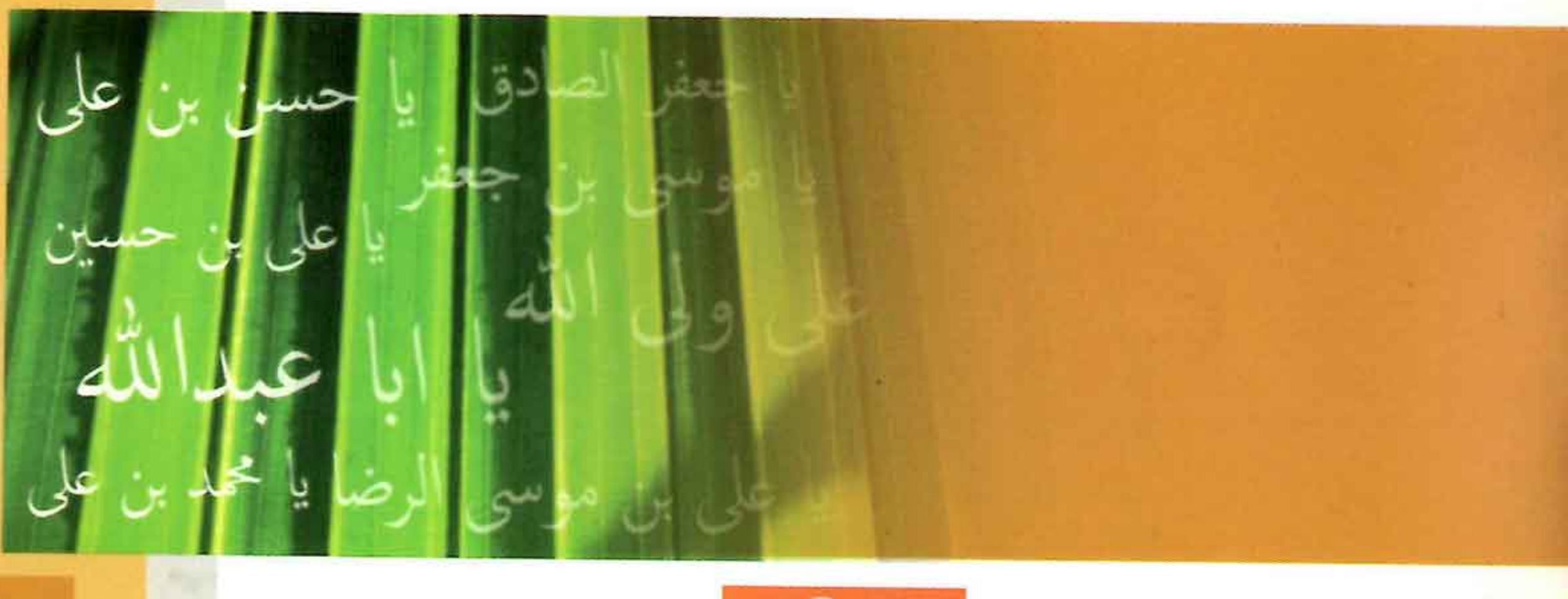

معهد الامام الخميني للدراسات الاسلامية

الإمام المهدي (ع)

الإمام المهدي (ع)

المقدمة:

هذا الكتاب يُبحر في سيرة أئمة أهل البيت (ع) بالإستفادة من مصادرها، ملتمساً في تفاصيلها الملامح السياسية لسيرتهم العطرة في محاولة لرسم معالم حركتهم السياسية في حياة الأُمّة الإسلامية.

لما لهذا الأمر من أهميّة على صعيد فهم خط الإمامة، على المستوى النظري من جهة وعلى المستوى العملي من جهة أخرى، وذلك للإستضاءة بهذا الفهم في مواجهة الواقع الراهن خصوصاً والأحداث في ما نستقبل من أيام وتحولات.

وعلى العادة والتزاماً بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا أمام الله والأُمّة في المعهد، نستكمل عملية تشييد البنى التحتية للعلوم والمعارف الإسلامية الأصيلة بإضافة هذا الكتيب علنا نوفق بفضل الله إلى إكمال ما بدأناه حيث لا غنى عن عونه تعالى فعليه نتوكل وإليه ننيب.

★ ★ ★ ★ ★

تمهيد:

تعرّفنا فيما سبق على خطة العباسيين وسياستهم تجاه أئمة أهل البيت (ع)، بصهر الإمام في جهازهم الحاكم تمهيداً لتمييع أطروحتهم وعزلهم عن قواعدهم الشعبية، وكان الواحد منهم يعاني القهر والخوف والفقر والعذاب، من سياستهم الغاشمة.

وقد أجبرتهم سياسة البطش والإضطهاد إلى النشاط السري المحاط بالكتمان والرمزية قولاً وعملاً، والإنتقال من مرحلة المد والتوسع الأُفقي إلى مرحلة الحفاظ على البقاء، ومحاولة الإتصال المباشر بأصحابهم الخلّص، بعد أن يختبروا فيهم قوة الإرادة والصمود أمام ضغط الأحداث الصعبة، وهي مرحلة كانت تستهدف إذكاء الجذوة والأمل الثوريين من خلال المهدي في نفوس الشيعة ومتابعة دور المعارضة الصامدة أمام هجمات الإنحراف ضد الخط الرسالي، بالشكل الذي لا يتنافى ومرونتهم في العمل السياسي والتحريضي تجاه الدولة.

هذا الدور الفاعل والإيجابي، هو الذي دفع السلطات إلى الحذر الدائم والتوجس المستمر، من كل قول أو فعل يصدر عن الإمام (ع) أو عن أحد أصحابه، فكانت السجون ووسائل القهر الإرهابية، وسيلة من وسائلهم لتشتيت القواعد الموالية للإمام (ع) ومنعها من الإتصال بقيادتها المتمثلة في إمام أهل البيت(ع).

وكثيراً ما كان الأمر ينتهي بهم إلى السجون، وإلقاء القبض على الإمام نفسه، ليبقى في غياهب السجون مدّة، ثمّ يخرج ليسجن ثانية.

ومع هذا، فقد استطاع الإمامان الهادي والعسكري (ع) بالرغم من سياسة المضايقة والمراقبة الدائمة، أن يخفيا نشاطهما، ويسترا الأموال والتعاليم التي تبلغ من قبلهما.

وفي هذا الجو المشحون بالحقد والضغينة على حركة أئمة أهل البيت (ع)، كانت الدولة العباسية تدرك واجبها تجاه الأفكار التي كانت تملأ ذهنيات المسلمين عامة والموالين خاصة بالإعتقاد بوجود المهدي (ع) لتواتر أخباره منذ زمن النبي (ص) إلى زمان الإمام العسكري (ع).

والسلطات كانت تعلم على وجه الإجمال، أن زمان المهدي (ع) قد أوشك على الوجود، ولكنهم يجهلون تاريخ ميلاده لمدى السرّية التامة التي أحيطت بولادته (ع).

ومن هنا جاء اهتمام الجهاز الحاكم بإصدار أوامره لمراقبة الحوامل عند وفاة الإمام العسكري ظناً منهم بوجود المهدي (ع) جنيناً في رحم إحدى نسائه.

- **في ظروف ولادة الإمام المهدي (ع):**

تزوّج الإمام العسكري (ع) أمَةً مملوكة جُلِبَت بواسطة الفتح الإسلامي وكانت تُسمّى بأسماء مختلفة من قبل الإمام (ع)[1].

وقد عاشت تخطيطاً خاصاً في تبديل اسمها بين آونة وأخرى! وذلك لمعرفة العسكري (ع) بأنها ستصبح أُمّاً للمهدي(ع) وسترى المطاردة والإضطهاد من قبل السلطات وستعيش في السجن مدة من الزمن.

ومن هنا جاء تخطيط الإمام (ع) تجاهها إمعاناً في الحذر وزيادة في التوقي عليها وعلى ابنها، ولأجل أن يلتبس أمرها في ذهن السلطات، إن صاحبة أيّ من هذه الأسماء هي المسجونة، وأي منها هي الحامل وأي منها هي الوالدة، حيث يكون المفهوم لدى السلطات كون الأسماء لنساء كثيرات ويغفلون عن احتمال تعددها في شخص امرأة واحدة.

---

[1] – راجع أسماءها في كتاب تاريخ الغيبة للصدر وغيرها من المعلومات المفصلة، فقد اعتمدنا في هذا البحث على كثير من آرائه.

- ولادتـه:

وُلِـد الإمـام المهـدي (ع) في يـوم النصـف مـن شـعبان عـام (٢٥٥هـ)[٢]، وعاصر من حياة أبيه خمس سنوات، وانصب نشاط أبيه (ع) الرئيسي خلال ذلك على أمرين مهمين:

أحدهما: الحذر التام من السلطات الحاكمة.

ثانيهما: تعريف خواص الشيعة بالإمام (ع).

وتولّى الإمام المهدي (ع) مسؤولية الإمامة بعد وفاة أبيه (ع) وهـو ابـن خمـس سـنين سنة (٢٦٠هـ)، وصـغر سـن الإمـام لـيس ظاهرة غريبة كما هو مبين في بحثنا عن الجواد (ع). فالإمامة هبـة يمنحهـا الله تعـالى مَـن يشـاء مـن عبـاده، فيمن تتوافر فيـه عناصر الإمامة وشـروطها شأنها في ذلك شـأن النبوة، فقد أوتي النبي يحيى (ع) الحكم صبي، وقام عيسى بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين[٣].

---

[٢] - الإرشاد، ص٣٢٦؛ وأعلام الورى، ص٢٩٣.

[٣] - نفس المصدر، ص٣٥٧.

- مسؤولية الإمام العسكري (ع) تجاه ولده:

بعد ولادة الإمام المهدي (ع)، واجه الإمام الأب وظيفتين مزدوجتين تجاه ولده (ع):

١- إثبات وجود المهدي (ع) تجاه التاريخ وتجاه الأُمّة الإسلامية وتجاه قواعده ومواليه، مع الحذر من السلطة، دون أن يبلغ به الحذر والكتمان إلى إخفائه الكامل، بحيث يؤدي إلى انطماس إسمه وإنكار وجوده، وإقامة الحجة في وجوده على الموالين خاصة، والمسلمين عامة، داحضاً بها المزاعم التي تزعم بعدم وجوده أو أنه ليس للإمام العسكري من ولد.

٢- التخطيط لحماية المهدي (ع) من محاولات قتله ومطاردته من قبل السلطات، التي أبدت اهتمامها الشديد والمركز، ومحاولاتها المستميتة للقضاء عليه وتجنيد كل قواها وعيونها من أجله لأن ولادته (ع) تعني الحكم على نظامهم بالموت المحتم وفضح مخططاتهم وانحرافهم عن أوامر الإسلام.

وممّا زاد في دقة وحرج موقف الإمام العسكري (ع) في تحقيقه لهذين الهدفين أو الوظيفتين المزدوجتين تجاه ولده (ع)

تعرضه لأضواء السلطة ومراقبتهم الدائمة له، وباعتباره القائد الإسلامي لقواعد شعبية واسعة من المسلمين، وتمثيله لجبهة الرفض المعارضة والمناوئة للسلطة الحاكمة آنذاك.

ومن هنا كان تخطيط الإمام (ع) في اجتياز هذا المأزق بسلام هو ترك الإعلان أو الكشف عن ولادة ابنه (ع) وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق "حتى أنّ الخادم في بيت الإمام العسكري لم ينتبه إلى شيء ولم يفهم شيئاً"[٤].

وممّا ساعد الإمام العسكري وأعانه على نجاح خطة إخفاء الولادة، احتجابه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات، وتعود قواعده ومواليه على فكرة الإحتجاب والإتصال بقيادة الإمام عن طريق نظام الوكلاء وتسلسله الهرمي، وانشغال الدولة وأجهزتها بحركة صاحب الزنج عام (٢٥٢هـ).

وإلى هنا استطاع العسكري (ع) أن يضمن حماية ولده (ع) من بطش السلطة وكل مَن يدور في فلكهم. وكان الإمام (ع) يلزم كل مَن يطلع على أمر ولادة ولده المهدي (ع) بوجوب الكتمان. وقد كتب الإمام العسكري (ع) لأحمد بن إسحاق: "وُلِدَ لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً"[٥].

---

[٤] – تاريخ الغيبة للصدر، نقلاً عن كتاب إكمال الدين، مخطوط، ص٢٧٣.

[٥] – نفس المصدر، ص٢٧٦.

وكان يؤكد (ع) أيضاً على حرمة إطلاع أحدٍ على اسمه (ع). وكان عثمان بن سعيد العمري يقول لمن يسأل عن إسم الإمام (ع): "إياك أن تبحث عن هذا"[٦].

وكان الإمام (ع) يحتاط كثيراً من التصريح باسمه لأحد ويكتفي بالقول لهم: "هذا صاحبكم"، ويقتصر في التصريح باسمه على أقل القليل من أصحابه.

وكان يكفي في علم الإمام هذا القدر من الإطلاع وإن كان الإسم مجهولاً، بل يكفيهم الإيمان بوجود إمامٍ يرجعون إليه في الأحكام والمشاكل، ولا يتوقف ذلك على معرفة إسمه بعد معرفة شخصه وإمكان الإتصال به عن طريق سفرائه.

ولعل أوسع إعلان قام به العسكري (ع) بين أصحابه عن ولادة ابنه من بعده، وذلك قبيل وفاته بأيام، وقد كان المجلس غاصاً بأربعين من أصحابه ومخلصيه منهم محمد بن عثمان ومعاوية بن الحكيم ومحمد بن أيوب... يعرض عليهم ابنه (ع) ويقول لهم: "هذا صاحبكم بعدي وخليفتي عليكم... وهو القائم الذي تُمد إليه الأعناق بالإنتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً"[٧].

---

[٦] - نفس المصدر، ص٢٧٨.

[٧] - نفس المصدر، ص٢٨٣.

- **جعفر بن علي يخبر الدولة:**

جعفر هو ابن الإمام علي الهادي (ع). تُترجم لنا كتب التاريخ حياته بالشكل الآتي: ترعرع وشب على الإنحراف عن تعاليم الإسلام، واتخذ طريق اللهو وشرب الخمر والمجون، وكان والده (ع) يأمر أصحابه بالإبتعاد عن جعفر وعدم مخالطته، ويقول فيه: "إنه مني بمنزلة نمرود من نوح الذي قال الله عزّوجل فيه: (قال نوح: إن ابني من أهلي. قال الله: يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح)"[٨].

ويستفاد من الأخبار أن لجعفر ثلاث نشاطات منحرفة مضادة وقف معارضاً بها الإمام المهدي (ع)، وهي:

١- ادعاؤه بالإمامة بعد أخيه الإمام العسكري (ع).
٢- إنكاره لوجود أي وريث شرعي للإمام العسكري (ع)، وادعاؤه باستحقاقه التركة.
٣- وعندما احتجّ الإمام المهدي، أوعز إلى السلطات باحتمال وجوده، مما جعلها تشن حملة اعتقالات ومطاردات وتفتيش واسعة النطاق، انتهت باضطهاد

---

[٨] - تاريخ سامراء، ج٢، ص٢٥١، نقلاً عن كتاب مدينة المعاجز.

الموجودين من عائلة الإمام (ع)، ولكن بالتالي خاب أملهم بالعثور على الإمام المهدي (ع).

ومن هنا نرى أنّ الخليفة المعتمد عندما أخبره جعفر بوجود المهدي واختفائه، أرسل على الفور رجاله وخيله إلى دار الإمام الحسن العسكري (ع) لتفتيشه. وبعد التفتيش الدقيق لكل مرافق البيت، لم يجدوا شيئاً، وعند رجوعهم حاولوا نهب وسلب كل ما وقعت عليه أعينهم من متاع الدار، وبينما هم منشغلون بالنهب والسلب، تحين المهدي (ع) الفرصة ليخرج من الباب وهو ابن ست سنين، فلم يره أحدٌ منهم حتى اختفى .

وكانوا لا يعرفون بالتحديد عمّن يبحثون وأي شخص سوف يجدون، ففكرتهم عن الإمام غامضة، فلم يكن مستبعداً أنهم لم يلتفتوا وهم في نشوة السلب والنهب إلى وجود صبي يخرج من بين أيديهم بكل بساطة وهدوء ودون أن يثير أي اهتمام.

وبعد الإنتهاء. ألقوا القبض على الجارية صقيل أُم المهدي (ع) وأخذوها للتحقيق إلى الجهات المسؤولة للإستفسار عن الصبي وجمع المعلومات منها. فأنكرته وادعت أنها لم تلد، وأصرت أن لا تبوح بالسر، وأيقنت ولدها محجوباً مصوناً من الإعتداء.

- نفس المصدر، ص٣٥١.

وقد تحمّلت أُم المهدي (ع) وسائل القهر والتعذيب بكل إخلاص وصمود وحاولت أن توهم سلطات التحقيق، فتدعي "أن بها حملاً" ويقع كلامها في ذهن الحُكّام موقعاً محتملاً، ولربّما ظنوا في أنفسهم بأن هذا الحمل الذي تدّعيه هو المهدي المطلوب، وخصوصاً أنّ الدولة كانت تنتظر ولادة المهدي من أيام الإمام العسكري، وها قد انتهت حياته ولم تر له ولداً، وحيث أنّ الدولة لم تتأكد من ولادته فحسبهم الآن أن يراقبوا هذه الجارية إلى حين ولادتها ويتدبروا بعد ذلك أمر وليدها ويتخلصوا منه.

وقد أسرعت السلطات إلى وضع الجارية تحت المراقبة الشديدة والمستمرة، وجعلوها بين نساء المعتمد والموفق ونساء القاضي ابن أبي الشوارب، ولا زالوا يتعاهدون أمرها.. حتى طالت المدة ولم يحصلوا على شيء وبقيت الجارية محتجزة على هذه الحالة أكثر من عامين، حتى انشغلت الدولة بمشاكل وحروب في عدة جبهات أنستهم أمر هذه الجارية وتمكنت بذلك من الخروج منهم بسلام[١٠].

---

١٠ - انظر الكامل، ج٦، ص١٥، وكذلك تاريخ الطبري.

- **الغيبة الصغرى:**

تبدأ من عام (٢٦٠هـ) إلى عام (٣٢٩هـ).

إنّ غيبة الإمام (ع) لا يمكن أن نُفسِّرها بابتعاد الإمام المهدي (ع) عن المجتمع ومشكلاته المعقدة، بل كان المهدي (ع) قائداً فذاً يعيش بشعوره المرهف آلام وآمال أُمّته وقواعده الشعبية ويتجاوب معهم بالفكر والعمل، وذلك حسب مقتضيات الظروف والمصلحة الإسلامية. وكان الإمام المهدي (ع) يتصل مباشرة ببعض الخاصة من أصحابه، ويوصيهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس، مع إيصائهم بكتمان المكان وغير ذلك من الخصوصيات التي قد تدل عليه وتيسر للسلطات طريق الوصول إليه، وكان (ع) يجيب على أغلب المسائل التي تصله عن طريق وكلائه وسفرائه المعتمدين لهذا العمل، وكان من المتعذر على غير السفراء الوصول إليه، إلا مَن أحرز فيه الإخلاص وعدم إفشاء السر. وكان يوصيهم بحرمة التصريح باسمه، بل يتم التصريح باسمه بأسماء مستعارة تشير إليه دون أن تعينه، كالقائم، والغريم، والحجة، وصاحب الزمان ونحو ذلك، فإنّ السلطات "إن وقفوا على الإسم أذاعوه وإن وقفوا على المكان دلوا عليه".

وكان الإمام (ع) يُغيِّر مكانه بين آونة وأخرى دون أن يلفت إلى ذلك الأنظار.

- **مطاردة السلطات للإمام (ع):**

كان القبض على الإمام (ع) أحد أهداف الدولة الكبرى، لأنها تعلم أن وجود الإمام (ع) معناه تهديد لسلامة حكمهم. ومن هنا جاءت محاولاتهم المستميتة لتحصين دولتهم ضد خطره، وتجنيد الحملات للقبض عليه، وقد جردت السلطات ثلاث حملات إرهابية للقبض عليه والأمر بكبس داره وتفتيشها تفتيشاً دقيقاً.

وكان التجسس المستمر والحذر البالغ من قبل السلطات سياسة متبعة من قبل كل الحُكّام لكشف مكان إختفاء الإمام (ع) والقبض عليه.

ولكنّ الأعوام التسعة عشر من نشاط السفراء، ومحاولات التجسس الدائبة أسفرت عن شيء جديد وهو ثبوت فكرة السفارة لديها ونشاطاتها المريبة في قبض المال بالوكالة لصالح الإمام (ع) ليس هذا فقط، بل هناك قيادة ترعى وتشرف على القواعد الشعبية وتستلم الأموال منها.

وعلى ضوء هذا الإكتشاف الخطير، رأى المعتضد عند توليه الخلافة أن أهم واجباته في الحكم، أن يبادر فوراً إلى تجديد الحملات لمحاولة القبض على الإمام(ع).

وقد وضع عملاء الدولة وجواسيسها مخططاً كاملاً يُعْلِم المعتضد بدار الإمام (ع) واحتمال اختفائه هناك، وقد بعث المعتضد على ثلاثة نفر، وأمرهم بالخروج إلى سامراء مخففين لا يكون معهم قليل ولا كثير، إلا أن يركب كل واحدٍ فرساً معه آخر، ووصف لهم محلة وداراً، وقال: "إذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً أسودَ فاكبسوا الدار، ومَن رأيتم فيها فأتوني برأسه"[11].

ولم يكشف المعتضد لهؤلاء الثلاثة مهمتهم الحقيقية ودون أن يعرفهم بأنهم مكلفون بإلقاء القبض على الإمام المهدي (ع) حفاظاً على سمعته وسمعة الدولة، وخوفاً من تسرب الخبر إلى الناس فيكون ما لا يحمد للمعتضد عقباه، فإنّ الأمر أدق وأهم من أن يعرفه الناس.

وبدأت الحملة كما أمر المعتضد، وتوجّهوا إلى سامراء وبحثوا عن الدار فكبسوها وجاسوا خلالها، وكان الإمام (ع) فيها ولكنهم لم يلتفتوا إليه، ونجا منهم بمعجزة يرويها لنا التاريخ بشيء من التفصيل[12].

---

[11] – الغيبة للطوسي، ص١٤٩؛ البحار، ج١٢، ص٨.

[12] – الخرايج والجرايح، ص٦٧.

وظنّ المعتضد أن هذه الحملة فشلت لقلة عددها وسريّة تنفيذها، ومن هنا نراه يجرد حملة أخرى أكبر.

يروي صاحب البحار نص الرواية: "ثمّ بعثوا عسكراً أكثر، فلمّا دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج، وأميرهم قائم حتى يصل العسكر كله، فخرج من السكة التي على باب السرداب ومرّ عليهم، فلمّا غاب، قال الأمير انزلوا عليه، فقالوا: أليس هو مرّ عليك، فقال: ما رأيت، ولِمَ تركتموه، قالوا: إنا حسبنا أنك تراه".

ومن طريف حال هؤلاء الجلاوزة، أنهم لم يبادروا للقبض عليه، بل وقفوا على باب السرداب يحافظون عليه، فهم يخافون مواجهته (ع) ويحتاجون إلى مدد أكبر وعدد أكثر فهم منتظرون لوصول المدد من بغداد إلى سامراء. وفي هذه الأثناء من الترقب، استغل الإمام (ع) أروع لحظة من لحظات ذلك الحصار، لحظة اقترنت بالدقة والتوقيت والضبط في التدبير والعناية الإلهية، إنها لحظة غفلة قائد الحملة عن الترصد والإنتباه، لحظة لم يأت فيه المدد، ولم تصدر الأوامر بعد لاقتحام المكان.

- الإمام (ع) والتنظيم الهرمي:

يتبيّن للباحث من مجموع الروايات والنصوص التاريخية أن الإمام (ع) اعتمد تنظيماً هرمياً في ارتباطاته واتصالاته بقواعده ومواليه، فكان (ع) في قمة الهرم قائداً يمارس عمله بسرية وخفاء، يصدر الأوامر والتعليمات إلى سفرائه مباشرة وهم بمثابة أعضاء الإرتباط بينه وبين الوكلاء الذين انتشروا في المناطق البعيدة، ليكونوا همزة الوصل بين السفراء والقواعد الشعبية الواسعة.

وكان الإمام الجواد (ع) يعمد إلى إحاطة اتصاله بالوكلاء بالغموض المطلق وكان ذلك الإتصال مجهولاً تماماً لدى كل إنسان مهما كان خاصاً ومقرباً ما عدا السفير نفسه الذي يضطلع بمهمة الإتصال المباشر، ومن الممكن القول بأنّ السفير كان منهياً عن التصريح به أساساً لكل أحد.

وكان اختيار الإمام (ع) لأشخاص السفارة وإيكال الوكالة الخاصة لهم، تقوم على عمق إخلاصهم، وقوة تحملهم للتعذيب فيما بعد إذا وقعوا في قبضة السلطة. ولم يشترط الإمام (ع) أن يكون السفير هو الأعمق فقهاً أو الأوسع ثقافة، لأنّ السفارة لا تعني إلا التوسط في التبليغ، ومن هنا جاز إسنادها إلى

المفضول مع وجود الأفضل، حرصاً على الإخلاص العميق وقوة الإرادة.

ومن هنا جاء البعض يعترض على أبي سهل النوبختي، فقيل له: كيف صار هذا الأمر ـ أي السفارة ـ إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: "هو أعلم وما اختار، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة، لعلي كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرض ذيله بالمقاريض ما كشف الذيل عنه"[١٣].

وكانت مسؤولية السفراء في هذا التنظيم عامة وشاملة، على حين نرى مسؤولية الوكلاء خاصة، تشمل منطقتهم فقط، ومهمة الوكيل في التنظيم، تسهيل عمل السفير وتوسيعه، وخصوصاً أن ظروف العمل السري تمنع حرّية الحركة والإتصال المباشر بالقواعد الشعبية المنتشرة في مختلف البلدان الإسلامية، فيكون لعمل الوكلاء ونشاطهم أكبر الأثر في إيصال التعاليم والتوجيهات إلى أوسع مقدار ممكن من القواعد الشعبية الموالية.

---

[١٣] – غيبة الطوسي، ص٢٤٠؛ والبحار، ج١٣، ص٩٨.

فضلاً عن ذلك، أن فكرة اعتماد نظام الوكلاء في التنظيم الهرمي، تساهم في إضفاء طابع التكتم والسرية على اسم وشخص السفير. فالفرد المنتمي للقواعد الشعبية العارف بفكرة السفارة غاية ما يستطيعه هو الإتصال بأحد الوكلاء من دون معرفة اسم السفير أو عمله أو مكانه[١٤].

وكانت الأموال والحقوق الشرعية تصل الإمام (ع) ليعاد توزيعها بواسطة السفراء ثمّ الوكلاء لتصرف في مواضعها.

وهذه الأموال منها ما يصل الإمام (ع) مباشرة، ومنها ما يصرفه الوكيل وفقاً للقواعد والأحكام الإسلامية في صرف الحقوق.

ومن مهمة السفراء أيضاً أخذ الأسئلة وإيصالها من وإلى الإمام (ع)، تندرج في ذلك الأسئلة الفقهية والعقائدية وغيرها التي كانت توجه للإمام (ع).

---

[١٤] - منتهى المقال، ج١، ص٢٤١.

- كل شيء عن السفراء الأربعة:

السفراء الأربعة هم الذين تولوا الوكالة الخاصة عن الإمام (ع) خلال غيبته الصغرى، وهم على التوالي وحسب تسلسلهم التاريخي:

١- عثمان بن سعيد العمري.

٢- محمد بن عثمان العمري.

٣- الحسين بن روح النوبختي.

٤- علي بن محمد السّمري [١٥].

وبانتهائهم ينتهي عهد الغيبة الصغرى عام (٣٢٩هـ)، ويبدأ بعدها عهد الغيبة الكبرى.

وقد اضطلعوا بمهمة قواعد الإمام (ع) من الناحية الفكرية والسلوكية، طبقاً لتعليمات الإمام (ع) والتوسط بينه وبينها في إيصال التبليغات وإخراج التوقيعات، وحل مشاكلها وتذليل العقبات التي تصادفها.

---

[١٥] - راجع تراجم حياتهم في كتاب الغيبة للطوسي.

وقد اعتمدت تحركاتهم ونشاطاتهم السرية التامة دون أن يثيروا السلطات عليهم، ولكي تنفسح لهم أكبر الفرص وأوسع المجالات للعمل تحت قيادة الإمام (ع) دون أن يقعوا تحت طائلة المطاردة والتنكيل.

ولعل الدوافع التي دفعت السفراء إلى هذا الأسلوب من العمل، هي الأسباب التالية:

١- خوف السلطة من العلويين، ومحاولة مطاردة واضطهاد عدد كبير من قادتهم وكبرائهم، ويكفينا ذلك العدد الضخم من العلويين الذين صرعوا على يد السلطات، وقد ضبط لنا أسماءهم أبو الفرج في المقاتل[١٦].

ويقول الطوسي في غيبته: "إن سيف المعتضد كان يقطر دماً"[١٧]، وكانت تلك الفترة مليئة بالظلم والجور وسفك الدماء[١٨].

---

[١٦] - المقاتل للاصفهاني.

[١٧] - الغيبة للطوسي، ص١٧٩.

[١٨] - عقيدة الشيعة لرونلدسن، ص٢٥٧.

٢- الجو القلق والمضطرب الذي عاشته قواعد الإمام الشعبية، والسفراء الأربعة بنحو خاص، إلى درجة أن عثمان بن سعيد السفير الأول للإمام (ع) كان ينقل المال في جراب من الزبل، لشعوره بضغط السلطات ومطاردتهم له، ولما ينتظره من العقاب الصارم لو عرفت به الدولة أو حصلت تجاهه على مستمسك خطير.

٣- المطاردة الجادة والدائبة للإمام المهدي (ع) ومحاولة إلقاء القبض عليه، وحملات التفتيش المنظمة لداره، فإذا كانت الدولة تقف من الإمام (ع) هذا الموقف فكيف تقف تجاه قواعده ومواليه؟!

وكان السفراء هم حلقة الوصل في قبض وتوزيع الأموال التي كان الموالون يحملونها إلى الإمام (ع) من أطراف البلاد الإسلامية وكانت الوفود تفد للسفير تحمل معها الأموال والأسئلة، تسلم السفير الأموال وتستسقي منه أجوبة المسائل وحل المشكلات.

وظاهر بعض الروايات أنّ الأموال كانت تحمل في السنوات الأولى من الغيبة الصغرى إلى سامراء، حيث يكون مَن يقبضها

هناك ويسلمها للإمام المهدي (ع) وذلك بدلالة السفير نفسه، كما فعل أبو جعفر العمري مع الدينور[١٩].

ثمّ انقطع ذلك، واستمرّ السفير على قبض المال بنفسه مع إعطاء الوصل به[٢٠].

وقبض الأموال وتوزيعها كان يقع سراً بعيداً عن أعين الدولة ورقابتها ولا يصرح به إلا نادراً، وكان التوزيع في الأعم الأغلب يأخذ الأسلوب التجاري أي يعطي بصفته دائناً مثلاً، دون أن يثير هذا السلوك شك السلطات.

وكثيراً ما كانوا يواجهون الوشايات بتخطيط رائع ومضاد، ومن ذلك وصول أخبار إلى مسامع عبدالله بن سليمان الوزير بوجود وكلاء للمهدي (ع) في بغداد وغيرها من المناطق يعملون لمصالح الإمام (ع). وجاء مَن ينصح الوزير بأن يرسل لكل وكيل شخصاً ويدعي بأن له مالاً يريد أن يدفعه للإمام (ع)، فمن قبض من الوكلاء شيئاً قامت الحجة عليه، ويؤخذ عند ذلك بالجرم المشهود، وفعلاً قام الوزير بهذه المحاولة لكشف وكلاء

---

[١٩] – البحار، ج١٣، ص٧٩.

[٢٠] – الإرشاد، ص٣٣٥.

الإمام (ع) إلا أن تعاليم الإمام كانت قد سبقته إلى الوكلاء، فما كان منهم إلا التنصل من الوكالة وتجاهل أمرها أمام عملاء الدولة وبذلك أحبطت مؤامرة الوزير ونجا الوكلاء من براثن السلطات[٢١].

ومن النشاطات الأخرى التي مارسها السفراء، تصديهم لحل المشاكل العلمية والدخول في المناقشات العقائدية، إمّا توجيهاً لقواعدهم الشعبية، أو من أجل الإحتجاج ضدّ الشبهات والدفاع عن الإسلام[٢٢].

- أهداف السفارة:

هناك هدفان ترمي إليها السفارة عن الإمام (ع)، هي:

١- تهيئة أذهان الأُمّة وتوعيتها لمفهوم الغيبة الكبرى وتعويد الناس تدريجياً على الإحتجاب، وعدم مفاجأتهم بالغيبة دون سابق مقدمات، ولربّما أدى الإحتجاب المفاجئ إلى الإنكار المطلق لوجود المهدي (ع).

---

[٢١] - أعلام الورى، ص٤٢١.

[٢٢] - غيبة الطوسي، ص٢٣٩؛ والإحتجاج، ص٢٨٨.

ومـن هنـا جـاء تخطـيط الإمـامين الهـادي والعسـكري (ع) بالإختفاء التـدريجي عن وسط الأُمّة، وضـاعفه الإمـام العسـكري على نفسه، كما أنّ الإمام المهـدي نفسـه تـدرّج في عمق الإحتجـاب كمـا بيّنـا، وكانـت فتـرة السـفارة أيضـاً إحـدى الفتـرات المرحليـة لتهيئة الأذهان بشكلها المتدرج.

٢- قيـام السـفارة برعايـة شـؤون القواعـد الشـعبية الموالـية للإمام والتوسط بينها، لتمضية شؤونها ومصالحها بعد اختفاء الإمام عن مسرح الحياة بغيبته الكبرى.

وقـد قـام السـفراء بمسـؤوليتهم في هـذا الجانـب خـير قيـام، حيـث اضـطلعوا بحفـظ مصـالح القواعـد الشـعبية، ومـن خـلال ظروف اجتماعية وسياسية بالغة التعقيد.

وقـد دامـت السـفارة عـن الإمـام المهـدي تسـعاً وسـتين عامـاً وستة أشـهر وخمسـة عشـر يومـاً وهـي نفـس فتـرة الغيبـة الصـغرى شغل منـها السـفير الأوّل عثمـان بـن سـعيد حـوالى خمـس سـنوات، والسفير الثاني محمـد بـن عثمـان حوالى الأربعـين عامـاً، والثالـث وهو الحسين بن روح إحدى وعشرين عاماً، وخلفـه السـفير الرابـع علي بن محمد السُمري، حيث بقي في السفارة ثلاث سنين.

وقد انتهت الغيبة الصغرى عام (٣٢٩هـ) وعمر الإمام (ع) أربع وسبعون عاماً، قضى أربع سنين ونصف منها في حياة أبيه (ع) وتسعة وستين عاماً ونصف وخمسة عشر يوماً في الغيبة الصغرى، ثمّ بدأت الغيبة الكبرى، حيث يأذن الله تعالى له بالخروج لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

(٢٥)

هذا البحث مستل من كتاب « الحياة السياسية لأئمة أهل البيت(ع) »